

الفصل الثاني من مسلك
الماستر
مادة: النظم القرآني



جامعة القادسيه
كلية اللغة العربية
بمراكش.

عرض في موضوع:

تأهرة المبالغة في القرآن الكريم.

- ✓ خالدة الكرامة
- ✓ عبد الرزاق العسري.
- ✓ سلمو خيلان
- ✓ الحسين أمكداوا
- ✓ كمال حملان.

من إنجاز الطلبة :

إشراف الدكتور: الحسين أهييب.

المعالم:

❖ تقديم:

1 - تعريف المبالغة:

1 1 - المبالغة لغة.

1 2 - المبالغة في اصطلاح البلاغيين.

1 3 - المبالغة عند اللغويين.

2 - موقف اللغويين والبلاغيين من المبالغة:

3 - بعض أوزان المبالغة.

أولاً: الأوزان القياسية.

ثانياً: الأوزان غير القياسية (السماعية).

4 - درجات المبالغة.

5 - المبالغة في القرآن الكريم: بعض صرائفها وصيغها:

تقديم:

إن هذا العرض يحاول دراسة قضية صرفية دلالية بلاغية، وهي قضية المبالغة وصيغها، وما يترتب على هذه الصيغ من إشارات تغذي المعاني الدلالية. وذلك من خلال توضيح مفهوم المبالغة وصيغها ودرجاتها وبعض طرائقها في القرآن الكريم. فمن المعروف كذلك أن كل تغيير في المبنى يحمل في طياته تغييرا في المعنى، فليس من المنطق أن تتغير المباني وتبقى حاملة المعاني نفسها، فليس قولنا: فلان كاذب كقولنا: فلان كذاب، فكل معنى يحتاج إلى ما يلائمه من المباني، التي ينسجم معها، فيتحقق للمتكلم ما أرادته من دلالة، وما يبغيه من بلاغة.

والقارئ لكتاب الله عز وجل تتبادر إلى ذهنه الكثير من التساؤلات، لعل أهمها:

لماذا تباينت وتعددت الصيغ المشتقة من الجذر نفسه؟ ولماذا استخدمت هذه الصيغة دون تلك في هذا المقام أو ذاك؟ وهل تتساوى هذه الصيغ في دلالتها؟ وما الفرق بينها؟ وأي الصيغ تتناسب مع هذا المقام أو ذاك؟ ولماذا جاء الفعل هنا مضعفا، ولم يأت كذلك هناك؟ لماذا يصف الله سبحانه نفسه بأنه "غافر" مرة، ومرة أخرى بأنه "غفور" وثالثة بأنه "غفار"؟ ولماذا هو عالم، وعليم، وعلام؟ وهل تتفاوت هذه الكلمات في معانيها؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تحتاج إلى دراسة وتفكير.

1 - تعريف المبالغة:

1-1: المبالغة لغة:

لتبيان معنى المبالغة في اللغة لا بد من الوقوف على بعض المعاني التي وردت في المعاجم العربية للجذر اللغوي (بلغ). فقد جاء في اللسان: المبالغة: من "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى... وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده...، والبلاغ: ما بلغك، والبلاغ الكفاية. والبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ... بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا: إذا اجتهد في الأمر...

وبلغ الغلام: احتلم كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف، وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ أَجْلَهُ¹﴾ أي قاربته، وبلغ النبت: انتهى... وبلغت النخلة وغيرها من الشجر: حان إدراك ثمرها... وشيء بالغ أي جيد...²

وجاء في تاج العروس "بلغ المكان بلوغا: وصل إليه، وانتهى. ومنه قوله تعالى ﴿لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِرِّ الْأَنْفُسِ³﴾ أو بلغه: شارف عليه، ... والبلوغ والإبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا أو زمانا، أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه...⁴

وفي معجم العين: المبالغة: أن تبلغ من العمل جهدا¹.

¹ - سورة النساء: 234

² - ابن منظور، لسان العرب: (بلغ)

³ - سورة النحل: 7

⁴ - الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني الواسطي: تاج العروس من جواهر القاموس 6، دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان. (بلغ)

ويقول صاحب قطر المحيط: "والمبالغة عند أهل اللغة أن يدعى لشيء وصف يزيد على ما في الواقع"².

ويتضح مما سبق أن المبالغة مأخوذة من عدة معان منها:

- (1) : الوصول والانتهاى إلى الشيء المطلوب والمشاركة عليه.
- (2) : الاكتفاء بالشيء دون الزيادة عليه.
- (3) : المشقة في العمل، والاشتداد في المرض.
- (4) : النفاذ في الأمر، والتوصل إلى المراد.
- (5) : التكلف والاجتهاد في الأمور وعدم التقصير بها.
- (6) : التناهي في الصفة، وبلوغها غايتها القصوى.
- (7) : تجاوز الحد المطلوب في الأمور زمانا أو مكانا .

ونلاحظ مما سبق التقاء هذه المعاني اللغوية عند عدة معاني يمكن إدراجها ضمن مجموعتين:

أولا : المشاركة، والوصول، والاكتفاء، والمشقة.
ثانيا : النفاذ، والقدرة، والزيادة، والاجتهاد، والتكلف، وتجاوز الحد.

فالمبالغة في اللغة تعني : الوصول إلى الغاية والكفاية، والزيادة والتأكيد في الأعمال أو الأقوال، والاجتهاد في الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا أو زمانا، أو وصفا. فقولنا: بلغ فلان غايته أي وصل إلى غايته ومراده، أما قولنا بالغ فلان في الأكل أو الشرب، زاد عن حاجته في الأكل والشرب، وعليه فالمبالغة عدم الاقتصار على الغاية المنشودة والهدف المطلوب، بل تجاوز ذلك والزيادة عليه.

2-1 المبالغة في اصطلاح البلاغيين العرب:

فالمبالغة عند الزجاج تعني: "تمام القدرة واستحكامها، ففي قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³، يقول: "ومعنى الملك في اللغة: تمام القدرة واستحكامها، فما كان مما يقال فيه ملكٌ سمي الملك، وما نالته القدرة، مما يقال فيه مالكٌ فهو ملكٌ...، وأصل هذا من قولهم: (مَلَكْتُ الْعَبِيدَ أَمْلَكُهُ) إذا بالغت في عجنه، ومن هذا قيل التزويج، شهدنا" إملك" فلان أي شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده"⁴.

أما المبرد فيتناول موضوع المبالغة من خلال تناوله لفن التشبيه ويقول: "والعرب تشبه على أربعة أضرب... منها التشبيه المفرط، والتشبيه المصيب، والتشبيه المقارب، والتشبيه البعيد، فمن التشبيه

¹ - الفراهيدي، أبو عبد الله الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،

421/4

² - البستاني، بطرس: قطر المحيط، مكتبة لبنان (بلغ).

³ - سورة البقرة: 107

⁴ - الزجاج، أبو اسحق بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث - القاهرة، 1997 (1418م)، ط2، 168/1.

المفرط المتجاوز، قولهم للسخي: هو كالبحر، وللشجاع: هو كالأسد، وللشريف: سما حتى بلغ النجم¹

ويتضح أن المبرد يرى أن المبالغة ليست سوى خروج عن الحد والغاية، وإفراط في الوصف، وتجاوز للمألوف.

أما قدامة بن جعفر فقد أفرد للمبالغة مبحثاً مستقلاً عن درجاتها من غلو، وإغراق. فمفهوم المبالغة عنده: "أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له وذلك مثل قول عمير بن الأبهيم التغلبي: (الوافر)

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُتَبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَ.

فاكرامهم للجار، ما دام فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل...²

ومن خلال ما سبق يتضح أن قدامة يرى أن المبالغة عدم الاكتفاء بالمعنى الذي يتطلبه مقام الحديث، وإنما هي تجاوز هذا المقام إلى مقام أرفع وأكبر لإضافة المزيد من البيان، والتكثير في الوصف.

أما أبو هلال العسكري فهو يدور في تعريفه للمبالغة في فلك قدامة فيرى أن: "المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منزلته، وأقرب مراتبه، ومثاله في القرآن: ﴿يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ إِثْمَةٍ حِمْلًا حَمْلَهَا وَتَرَى النَّارَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾" ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة، وإنما خص المرضعة للمبالغة؛ لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له⁴.

أما الرماني فيرى أن المبالغة: "الدلالة على كبر المعنى" على جهة التغيير من أصل اللغة لتلك الإبانة، والتغيير عن أصل اللغة للإبانة إما أن يكون بالصيغ القياسية الصرفية كـ "فعال، ومفعول، وفعل، وغيرها" وإما بتغيير الصياغة⁵.

ويعرف الشريف الرضي المبالغة بقوله هي: "الإبعاد في الغاية ففي قوله تعالى ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَاعٍ يَهِيمُونَ﴾" يقول... "ووصف الشعراء بالهيمان فيه فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها، والإبعاد في غاياتها، لأن قوله سبحانه "يهيمون" أبلغ في هذا المعنى من قوله (يسعون، ويسيرون).¹

¹ - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد: الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف -

بيروت. 101/2

² - ابن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط 1، مكتبة

الخانجي

بمصر 1963 م، ص: 141

³ - سورة الحج: 2

⁴ - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين الكتابة والشعر، ط 1: ص 287

⁵ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في اعجاز القرآن، تحقيق د. محمد زغول سلام، ط 3، دار

المعارف، ص 96

⁶ - سورة الشعراء: 224-225

أما ابن القيم فيرى أن المبالغة¹ : أن يقصد المتكلم معنى تعبر عنه لفظتان، أحدهما أزيد بناء من الأخرى، فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا إن اغشوشب، واخشوشن في المعنى أكثر، وأبلغ من خشن وعشب، ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً، فإن ستار أبلغ من ساتر وغفار أبلغ من غافر "ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾².

3-1 مفهوم المبالغة عند اللغويين العرب:

نلاحظ أن اللغويين يرون المبالغة من زاوية مبالغة اسم الفاعل وهي المبالغة في الوصف، وقد تعددت تعريفاتهم للمبالغة، إلا أنها تصب في المعنى ذاته.

فالمبالغة عند سيبويه - مثلاً - مرادفة لأداء الفعل بكثرة، فيقول في باب ما تكثر فيه المصدر من (فعلت) "فتلحق الزوائد وتنبه بناء آخر، كما أنك قلت في فعلت فعلت، حين كثرت الفعل، وذلك قولك في الهذر: التهذر، وفي اللعب: التلعب، وفي الصفق: التصفق، وفي الرّد: التردّد، وفي الجولان: التجوال، والتفعّل، والتيسار، وليس شيء من هذا مصدر فعلت، ولكن لما أردت التكثر، بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعلت"³.

أما ابن جني فيرى أن المبالغة : "زيادة في المعنى تقتضي زيادة في بناء اللفظ ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك، قالوا : وضاء، وجُمّال فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه"⁴.

ومن كل ما سبق نستطيع أن نتبين اتجاهين في تعريف المبالغة عن القدماء أولهما المبالغة في الوصف، وثانيهما المبالغة في اللفظ أو الصفة. ف"المبالغة عند أهل اللغة هي أن يدعى لشيء وصف يزيد على ما في الواقع وهي ضربان أحدهما المبالغة في الصفة كضراب، وعلامة، ومفضال، والثاني المبالغة في الوصف وهي عدم الاكتفاء بالصفة التي توصل المعنى المحدد للسامع أو القارئ بل تتجاوزه لإكساب دلالات إضافية يتطلبها المعنى، أما المبالغة في الصفة فهي التي تقابل مبالغة اسم الفاعل وهي المبالغة الخاصة باللفظة المفردة والتي تحصل نتيجة العدول من صيغة إلى أخرى.

إذن صيغ المبالغة محولة للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث وتأكيد، فقولك: زيد ضارب عمرا . يدل على وقوع الفعل من زيد مرة واحدة، أما قولك: زيد ضروب عمرا . فهذا يدل على تكرار الفعل، ف (فعول) أبلغ من فاعل في الدلالة على الكثرة " ويجوز أن يعد هذا من أنواع الاختصار ...، فإن (ضروب) ناب عن قولك: (ضارب ، وضارب ، وضارب). " وقولنا: (راحم) يدل على حدوث الفعل مرة واحدة، وإذا أردنا الدلالة على كثرته قلنا: (رحمن أو رحيم) ومثله: (غافر، غفور، وغفار) و (عالم، وعليم، وعلام) و (وخاذل ، وخذول) و (يائس، ويئوس).

¹ - الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط الحلبي،

1995 م، ص259

² - سورة نوح:10

³ - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب، علق عليه ووضح هوامشه وفهارسه د.إميل بديع يعقوب، ط1 ، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1420 هـ 1999 م، 125/1

⁴ - ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، 266/3.

⁵ - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان: 502/2.

2- موقف اللغويين والبلاغيين من المبالغة:

كما أسلفنا القول فقد تناولت المبالغة تعريفات كثيرة و مختلفة وهي بمعناها العام تجاوز الحد، والزيادة في المعنى أو الوصف، وهي واقعة ومقبولة لا محالة، حتى وإن رفضها بعض اللغويين أو البلاغيين؛ وذلك " لوجودها في القرآن الكريم وفي البيان، ولكن يشترط فيها التوسط فلا إفراط ولا تفريط؛ فيقبل منها ما يجعل الكلام لطيفاً عذباً قريباً إلى النفوس محبباً"¹

ونشير هنا إلى موقف بعض اللغويين والبلاغيين من المبالغة، فالجاحظ - مثلاً - وقف موقف الاقتصاد في المبالغة بين الإفراط والتفريط"². وكذا الحال عند أبي العباس ثعلب فخير الأمور أوسطها"³ ورأى بعض النقاد أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط، كما اشترط البعض وقوع (كاد) وما جرى مجراها في المبالغة. أما ابن الأثير فقد نصر المبالغة.⁴

ومن هنا لا يمكن رفض المبالغة لاقترانها بالكذب ومنافاتها الصدق؛ فهي ليست كذبا، " فغايتها زيادة المعنى وتقويته لا تزييفه وقلب الحقائق وتغييرها؛ فهي تعبر عن العواطف التي تقصر اللغة عن التعبير عنها"⁵. ولعل بعض النقاد قد قبلوا الكذب في الشعر ومن هنا شاعت العبارة القائلة: (أعذب الشعر أكذبه)؛ "لأن الشعراء غير مطالبين بتقديم حقائق عقلية منطقية، بل مهمتهم التخيل"⁶.

3- بعض أوزان المبالغة:

تنقسم أوزان المبالغة إلى قسمين رئيسيين:

أولا :أوزان قياسية :وهي الأوزان الخمسة المشهورة:

أ -فعال :نحو :جبار - عزام - قتال - شراب - وصاف - جراح - قِيَام. و" قِيَام :بمعنى القيام. وهو القائم على كل شيء أي المتكفل به، وقرأ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه " :-لا إله إلا هو الحي القيّام"⁷ "وقد تزايد التاء زيادة في المبالغة، نحو :علامة، مداحة، فهامة، نسابة"⁸.

¹ - العلوي، الطراز 3:119-121

² - ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت - لبنان، 1968 م، ص256 :

³ - ينظر ابن رشيق :العمدة :ص 462-463

⁴ - ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير :المثل السائر، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد، ط الحلبي، 1939م، 316/2،

⁵ - ينظر سلطان، منير :البديع تأصيل وتجديد:ص:145

⁶ - ينظر، شوقي ضيف :البلاغة تطور وتاريخ، ط دار المعارف، 1965 م :ص84

⁷ - المازني :المنصف في التصريف، شرح أبي عثمان ابن جني :تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط 1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1379 هـ 1960 م، 3/ 63.

⁸ - السيّد، د.عبد الحميد مصطفى المغني في علم الصرف، ط، دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان الأردن،

1998م - ص2

ب -مفعّل :نحو:مقوال -معوّار -مقدّام -مفضّال - معطاء - معوان -مسمّاح. والمقوال هو " :كثير القول جيّده ، رجل مقوال ، وقوّل ، بمعنى (واحد) " ¹.

وتشارك هذه الصيغة صيغتان تدلان على ما تدل عليه، هما:(مفعّل، ومفعّل) نحو : (معطير، منطيق، مسكين. و مشعر، ومصّقع) يذهب في كل صقع ²

ج -فعول :نحو : (أكل - شروب - غفور - صبور - نؤوم -ولود" - بيوع (كثير البيع) - (قوّل) كثير القول، "بيوض:هي الدجاجة الكثيرة البيض" ³ "ويستوي في فعول، ومفعّل المذكر والمؤنث نحو : رجل صبور، وامرأة صبور ، وامرأة مذكّار، ورجل مذكّار" ⁴.

د -فعل :نحو:عليم - سميع - بصير - قدير - حفيظ.

هـ - فعل :نحو :حذر - فهم - فطن - ليق - فكّه ⁵.

ثانيا :أوزان غير قياسية (أوزان سماعية لا يقاس عليها):

يورد صاحب المعجم المفصّل في علم الصرف عشرين وزنا مستشهدا لكل وزن بمثال واحد وقد أورد منها صاحب المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها أحد عشر وزنا، وكذلك أورد الدكتور (إميل بديع يعقوب) في معجم الأوزان الصرفية أحد عشر وزنا منها:

1-تفعّل :نحو :تقتال.

2-تفعّل :نحو :تكذاب.

3-فاعلة :نحو :راوية.

4-فاعول :نحو :فاروق - ناطور.

5- فعّال :نحو :عُجاب - طوال.

"والطوال :بمعنى طويل.وهو أشدّ طولا من الطويل.فأما الجماعة فطوال بكسر الطاء لا غير." ⁶
6 - فعّال :نحو :كبار.

7- فعّالة :نحو :رحّالة - فهّامة - علامة - نسّابة - نواحة.

8 - فعل :نحو :غفل.

9-فعلّ :نحو :قلّب، حوّل.

¹ - ابن جني، المنصف: 50/3.

² - السيّد، د. عبد الحميد مصطفى، المغني في علم الصرف: ص205 .

³ - ابن جني :المنصف:58/3.

⁴ - السيّد، د. عبد الحميد مصطفى، المغني في علم الصرف: ص205

⁵ - ينظر :الأنطاكي، محمد. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ط1 ، ج1 مكتبة دار الشرق - بيروت، و ينظر :راجي الأسمر المعجم المفصّل في علم الصرف، مراجعة :د. إميل بديع يعقوب ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان 1413 هـ 1993 - م :ص:294

⁶ - ابن جني، المنصف: 52/3.

10- فعلان :نحو :رحمان – نسيان.

11- فعلة :نحو :ضُجَّعة – ضُحكة.

12- فعلة :نحو :هُمزة - لمزة - تبعَة- نومة :هو الرجل كثير النوم، سُولة :هو الرجل كثير المسألة، لومة : هو الرجل كثير اللوم، عُيبة :هو الرجل كثير العيب للناس ، وهو العِيَاب. والعيابة أيضا."

13- فعول :نحو:قُدّوس.

14 - فعيل :نحو :صدّيق – سكير.

ومن أوزان المبالغة أيضا:

15 - فوعَل :نحو :كوثر.

16 - "فعال :نحو : "فساق أي كثير الفسق"¹.

4- درجات المبالغة:

تعدُّ المبالغة من أهم مذاهب العرب في الكلام وربما كانت الرغبة في زيادة المعنى أو التوسع به عن حقيقته؛ لجذب انتباه السامعين أحد الأسباب التي تدعو المتحدث للمبالغة في أقواله فالمبالغة تفيد زيادة في المعنى وذلك لتناسب مع غرض المتكلم، فتجعل المعنى أحسن مما هو عليه وتجعل القبيح أقيح مما هو عليه. إذن قد يتوسع المتحدثون في بعض معانيهم، ولا ضير في ذلك فقد يكون المقام – مقام الحديث -متطلبا للتوسع، وكذلك يفعل الشعراء ويكون ذلك في أغلب الأحيان للتأثير في المتلقي، والوصول بالمعاني إلى صورة مثالية تتضمن أسمى المعاني وأرقاها.

وقد يلحظ الدارس في أن المبالغة تقتزن عند دراستها بمصطلحات مثل "الإغراق " والغلو " و"الإيغال " فالمبالغة قد "تترادف مع الإغراق والغلو.

فالإغراق نوع من المبالغة، فوقها ودون الغلو وبينه وبين المبالغة فرق، فهي تقتزن ب (كاد) وما شابهها مما يقربها إلى الحقيقة، أما الغلو فيبتعد عن الحقيقة . و المبالغة تبقى حسنة ومحبة ما بقيت في باب الممكن وابتعدت عن الاستحالة والغلو.

فما هي درجات المبالغة، ومتى تكون مقبولة أو غير مقبولة؟

يرى علماء البيان أن المبالغة تقع في درجات وهي أمر من متعلقات ما يتجاوز المعنى المطلوب، وهذا المعنى إما أن يكون ممكنا أو غير ممكن، والممكن إما أن يكون واقعا أو غير واقع فإذا كان المعنى على مقدار يصح وقوعه عادة سمي (مبالغة) أو (تبليغا) ، وإذا كان المعنى على مقدار يمتنع وقوعه عادة يسمى (إغراقا). أما إذا كان المعنى على مقدار غير ممكن يسمى (غلو).

وقد أفرد قدامة بن جعفر للمبالغة مبحثا مستقلا عن درجاتها من غلو وإغراق. والمبالغة عنده " أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له"².

إذن فقد حصرت درجات المبالغة في أشكال وصور هي:

¹ - السيد، د.عبد الحميد مصطفى السيد. المعني في علم الصرف :ص206

² - ابن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد :نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ط1 ، مكتبة الخانجي بمصر 1963م، ص160 .

1 - المبالغة أو التبليغ:

ومن ذلك قول ابن دريد: [الرجز]:

والناس أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمُرُّ عَنَّا.

قال العلوي في الطراز: " فانظر إلى مبالغته فيما ذكره من جعله ألفا من الناس كالواحد في الإغناء، وأنهم مع كثرتهم بمنزلة واحد من الخلق، وأن الواحد بمنزلة الألف في كونه كافيا عنهم، كل ذلك مبالغة في مدح الواحد من الناس لما كان مغنيا عن الكثير لجمعه للأوصاف الجميلة والمحامد الحسنة، وفي ذمه للكثير من الناس حيث كانوا في الإغناء لا يسدون مسد واحد وإن كانوا عدة كثيرة، وهذه الأمثلة كلها دالة على المبالغة من غير إغراق ولا غلو وهو المحمود في المبالغة"¹

2- الإغراق:

" الإغراق: فوق المبالغة، ودون الغلو ولا يقع شيء من الإغراق أو الغلو في الكتاب العزيز ولا الكلام الصحيح الفصيح إلا مقرونا بما يخرج من باب الاستحالة، ويدخله في باب الإمكان مثل كاد، وما يجري مجراها "² ومثال الإغراق قول عمير بن الأبهم التغلبي: (الوافر)

وَنَكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا .

فإكرامهم للجار، ما دام فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة وإتباعهم إياه الكرامة، حيث كان، من المبالغة في الجميل". وهذا ما أسموه إغراقا في الوصف.

3- الغلو:

أما الغلو وهو الدرجة الثالثة من المبالغة . وهو مشتق من "الغلو" وهي خروج عن الحق إلى الباطل ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ۚ ﴾³. وهو لا يعد من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه من الحق كقد للاحتمال، ولو للامتناع ،وكاد للمقاربة، وأداة التشبيه، وآلة التشكيك، وأشبه ذلك من القرآن اللفظية"⁴.

فالغلو بناء عليه أصناف والمقبول منه" ما ادخل عليه ما يقربه من الصحة كلفظ يكاد في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ يُتَبَقُّ يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾⁵ و (لو، ولولا)، ونحوهما.

4- الإيغال:

الإيغال في أصل اللغة هو الإمعان في الشيء، والدخول فيه، وأوغل في البلاد : ذهب وبأبعده. وفي الحديث: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق"¹.

¹ - العلوي، الطراز، 126/3-127.

² - العدوانى، عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفني محمد شريف، القاهرة، ص: 321

³ - المائدة : 77

⁴ - العدوانى، تحرير التعبير :ص323 .

⁵ - النور 35 :

يفسر قدامة الإيغال بقوله: "هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافيته، فإذا أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت"².

إذن الإيغال في مصطلح علماء البيان هو: الإتيان في عجز البيت بنعت لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة فيه. و"سمي هذا النوع إيغالا، لأن المتكلم أو الشاعر أو غل في الفكر حتى استخرج سبعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام".³ فهو ضرب من المبالغة إلا أنه في القوافي خاصة.

5- المبالغة في القرآن الكريم: بعض أمثلة وصفها:

تُعَدُّ المبالغة وجها من وجوه الإعجاز القرآني، والقرآن الكريم هو المعجزة البيانية الخالدة، وليس من الممكن حصر وجوه الإعجاز القرآني فكل وجه من وجوه الإعجاز القرآني ربما احتاج إلى مجلدات ضخمة، ولسنا بصدد عرض هذه الوجوه أو حتى سردها، وسيقتصر كلامنا في هذه الدراسة على وجه واحد من هذه الوجوه وهو أسلوب المبالغة الذي كان له حضور بارز في أي القرآن الكريم والذي اتخذ صوراً عدة من بينها:

5-1 مبالغة اسم الفاعل نفسه:

يشترك اسم الفاعل للدلالة على الفعل، ومُحدثه، وفق قواعد اشتقاقه من الثلاثي، وغير الثلاثي، وربما يحمل اسم الفاعل دلالة إضافية غير دلالة على الفعل ومُحدثه، ك أن يحمل الدلالة على المبالغة والتكثير كما في قوله تعالى ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾⁴. فقد جاءت (لائم) للمبالغة، إذ "أن (لومة لائم) في تكثير لومة ولائم مبالغة لا تخفى، لأن اللوامة المرة من اللوم"⁵.

ومن أمثلة المبالغة الحاصلة في اسم الفاعل ذاته قوله تعالى ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ⁶﴾ "أي جاء المعتذرون من الأعراب الذين انتحلوا الأعذار الكثيرة وتخلفوا عن الجهاد ليؤذن لهم في ترك الجهاد"⁷.

5-2 مبالغة الأوزان المعدولة عن اسم الفاعل (صيغ المبالغة):

ولنأخذ مادة (غ ف ر) مثالا على ذلك، ف"غفر الشيء ستره وغطاه، يقال غفر الشيب بالخضاب غطاه، وغفر المتاع في الوعاء: أدخله فيه وستره وغفر الله له ذنبه: غفرا، وغفرانا ومغفرة: ستره وعفا عنه"⁸.

1 - المعجم الوسيط (وغل).

2 - العدوانى. تحرير التحرير، ص 232- 233.

3 - العدوانى، السابق: ص 232.

4 - المائدة 54:

5 - الصابونى، صفوة التفاسير: 1/ 354.

6 - التوبة 90:

7 - الصابونى، صفوة التفاسير: 1/ 554.

8 - المعجم الوسيط: غفر.

وقد وردت مادة (غ ف ر) في القرآن الكريم في صور متعددة منها: الفعل الماضي، والفعل المضارع، والأمر، والمصدر واسم الفاعل ومبالغته، ومن هذه التنوعات الصرفية:

اسم الفاعل كقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْقِيزِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ¹﴾، وقوله تعالى ﴿خَافِرَ الْكُذْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ²﴾، وقوله تعالى ﴿أَنْتَ وَلَيْسَ فَاعْفُ كُنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ³﴾.

و قد عدل عن فاعل إلى صيغتين أخريين أحدهما (فعلول) كقوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغُفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ⁴﴾، والثاني (فعلال) كقوله تعالى ﴿وَأْتِمِرْ لِّغُفْرٍ لِّمَرِّ ثَابٍ وَأَمَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى⁵﴾...

1- فَعَالٍ نحو: جَبَّار - قَهَّار - ظَلَام - أَفَّاك - نَزَّاع - تَوَّاب - أَوَّاب - وَهَّاب.....
ويقول الزمخشري في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ⁶﴾ والمبالغة في (التواب) للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عبادة⁷.

2- مَفْعَالٍ نحو: مدرار:
ويقول الزجاج في تفسير (مدرارا) في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا⁸﴾،
" أي ذات غيث كثير، ومفعال من أسماء المبالغة، يقال: ديمة مدرار، إذا كان مطرها غزيرا دائما، وهذا كقولهم: امرأة مذكور، إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذا مننات في الإثاث⁹."

3-5 المبالغة في صيغ المبالغة غير القياسية:

من الصيغ غير القياسية للمبالغة:

1- فَعِيلٍ نحو: صديق.

الصدق: نقيض الكذب... ورجل صدوق: أبلغ من صادق... والصديق: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل¹⁰.

1 - سورة آل عمران 17 :

2 - سورة غافر 3 :

3 - سورة الأعراف 155 :

4 - سورة الكهف 58 :

5 - سورة طه 82 :

6 - الحجرات 12 :

7 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 569/3.

8 - الأنعام 6 :

9 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2، 229/2.

10 - ابن منظور، لسان العرب: (صدق)

مما جاء على زنة (فعيل) في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْكَافِرِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ¹﴾، وقوله تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الصُّغَامَ²﴾. ويقول الزجاج في قوله تعالى ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي مبالغة في الصدق والتصديق على النسب أي ذات تصديق.³

2- فعلان: نحو: رحمان.

يقول الزمخشري: الرحمن فيها من المبالغة، ما ليس في رحيم، ولذلك قالوا: رحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون، إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى⁴ وقد ذهب الجمهور من الناس إلى أن الرحمن مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يثنى ولا يجمع، كما يثنى الرحيم ويجمع⁵.

4-5 التكرار للمبالغة:

وهو "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم، أو التهويل أو الوعيد" وقد ورد في القرآن الكريم بشكل كثير فكان داعماً للمعنى ومؤكداً له⁶. وأما ما جاء منه للمدح في الكتاب العزيز فكقوله - سبحانه ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ⁷﴾. وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ⁸﴾ وقوله عز وجل ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ⁹﴾. وأما قوله تعالى ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ¹⁰﴾ فقد جاء للاستبعاد¹¹.

¹ - سورة النساء: 69 :

² - سورة المائدة: 75 :

³ - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 196/2

⁴ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشف، ط دار المعارف - بيروت: 53/1

⁵ - القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ط5، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، 1417هـ-1996م، مج1، 73/1.

⁶ - العدوانى، تحرير التعبير: 375 :

⁷ - سورة الواقعة: 10-11

⁸ - سورة الحاقة: 1-2

⁹ - سورة القارعة: 1-2.

¹⁰ - سورة المؤمنين: 36 :

¹¹ - العدوانى، تحرير التعبير: 367 :

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- ✓ ابن منظور، لسان العرب.
- ✓ الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني الواسطي: تاج العروس من جواهر القاموس م6 ، دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.
- ✓ الفراهيدي، أبو عبد الله الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- ✓ البستاني، بطرس: قطر المحيط، مكتبة لبنان
- ✓ الزجاج، أبو اسحق بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث - القاهرة، 1997 (1418 م)
- ✓ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد: الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف - بيروت.
- ✓ ابن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط1 ، مكتبة الخانجي بمصر 1963 م.
- ✓ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين الكتابة والشعر، ط: 1
- ✓ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في اعجاز القرآن، تحقيق د.محمد ز غول سلام، ط3 ، دار المعارف.
- ✓ الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط: الحلبي.
- ✓ سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، علق عليه ووضح هوامشه وفهارسه د.إميل بديع يعقوب، ط 1، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1420 هـ 1999 م.
- ✓ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص.
- ✓ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان.
- ✓ العلوي، الطراز.
- ✓ الجاحظ، البيان والتبيين، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت - لبنان، 1968 م.
- ✓ ابن رشيقي: العمدة.
- ✓ ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط الحلبي، 1939
- ✓ شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط دار المعارف، 1965 م.
- ✓ المازني: المنصف في التصريف، شرح أبي عثمان ابن جني: تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1379 هـ 1960 - م.
- ✓ السيد، د.عبد الحميد مصطفى، المغني في علم الصرف، ط، دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان الأردن.
- ✓ المعجم الوسيط.
- ✓ الصابوني، صفوة التفاسير.
- ✓ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ✓ صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم: دراسة إحصائية صرفية دلالية: إعداد كمال حسين رشيد صالح ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين. 2005 م.